الصحافة السريانية.. من المقالات المقدمة في أسبوع المدى الثقافي الخامس

أكد مراد

مرت الصحافة السريانية بمراحل كانت أبرزها تلك التي ظهرت بعد انتفاضة اذار عام 1991، وقد عانت الصحافة السريانية منذ ولادتها الأولى في 1 / 11 /1849 بصدور صحيفة "زهريري دبهرا" من مشكلة الحرية. وواقع الأنظمة التي كانت تحكم في القرون الاخيرة والتي لم تكن افضل حال عن سابقتها امام القوميات الصغيرة التي كانت تعيش في المنطقة ومنها الكلدوأشوريون السريان.

إلا أن فترات تغيرها كانت تسمح بإقامة نشاطات ثقافية، وكانت مناطق أورميا بايران في القرن الثامن عشر الميلادي أفضل حال بعض الشيء من المناطق الأخرى ما سهل الاهتمام بفتح المدارس ونشر الكثير من الكتب في مختلف المجالات والاهتمام بالاخبار، ومنها جاءت ولادة أول صحيفة "زهريري دبهرا" وأعقبتها العشرات من الصحف بين شهرية ونصف شهرية وتواصلت الى فترة الحرب العالمية الآولى. عليه بالإمكان اعتبار نهاية الفترة الأولى للصحافة السريانية مع الحرب العالمية الآولى.

ما تميزت به صحافة الفترة الآولى

بعد تأسيس العديد من المدارس السريانية في مناطق اورميا التي كانت اوفر حظا في مجال استقرار الأوضاع ومجيء العديد من المبشرين للمنطقة وجلبهم مطابع بالحروف السريانية وفرت الفرصة لتعليم الناس.. مع التأكيد على استخدام الأسلوب المبسط في اللغة متجاوزين الطرق االقديمة الكلاسيكية التي كان معمولا بها آنذاك. ومنها جاءت لغة الصحافة مبسطة ومفهومة عند الناس، وعليه أصبح التفاعل مع القراء واسعاً ما دفع الجهود لزيادة كميات الطبع وصدور عدد من الصحف في وقت واحد وزيادة في صفحات كل مطبوع.

ومن جانب آخر اهتمت الصحافة بالثقافة العامة من خلال ما كانت تنشره من معلومات.. وكذلك نشر الوعي القومي والجوانب الدينية وما تحملها من مفاهيم الخير والمحبة والسلام. كما تابعت أخبار الشعب الكلدوآشورى السرياني وأخبار العالم في ضوء الإمكانات المتيسرة آنذاك.. واهتمت بالمشاركات المختلفة للقراء وعلى إثرها أحدثت علاقة تواصل ناجح مع القراء خاصة في نشر بعض الآراء والنقد لبعض الأوضاع التي كان يعيشها الشعب.

الفترة الثانية وما تميزت بها

تميزت هذه الفترة بالأوضاع السيئة التي كان يعيشها الشعب في عموم المنطقة، كما شهدت أحداثا مأساوية متسلسلة أودت بحياة المئات بل الآلاف من أبناء شعبنا وكانت أكبرها احداث سميل عام 1933، وتشريد الآلاف من قراهم ومناطقهم وترحيلهم الى مناطق اخرى مختلفة جغرافيا ما تسبب في حصول كوارث دون مبالاة بأوضاعهم.. وكانت حصيلة هذه المرحلة قد تجاوزت ربع مليون ضحية.

كما أن السلطة الجديدة التي تأسست في العراق لم تول أي اهتمام بهذا الشعب العريق بل عاملته بالحديد والنار.. واعتبرت مطالبه البسيطة تهديدا لأمن الدولة ومؤامرة وغيرها من التلفيقات كمبررات لإسكات صوتهم.

هذه الأجواء دفعت الكثير من النخب في هذه المرحلة للرحيل خارج الوطن ومن هنا بدأت الصحافة في المهجر وكانت صحيفة "الانتباه" في الولايات المتحدة لصاحبها كبريل بوياجي الذى هاجر من ديار بكر في تركيا إثبات الأحداث التي أودت بالشعب الآشورى في نيسان 1915 والتي راح ضحيتها مليون من الأرمن وأكثر من نصف مليون من الآشوريين.

الصحيفة الثانية "بيث نهرين" صدرت عام 1916 وأسسها المفكر نعوم فائق وهو من جنوب تركيا أيضا. وأعقبتها صحف ومجلات أخرى عديدة.

ما تميزت به صحافة المهجر في اجواء حرة مختلفة كليا عن اجواء الوطن، هو أنها اهتمت وبشكل كبير بأخبار الوطن وما كانت تعانيه شعوبها من ظلم واضطهاد، وكانت وسيلة لإبراز هذه الأحداث أمام بعض الجهات الدولية والمسؤولين الدولين بهدف الدفاع عن الحقوق المشروعة.. كما حاولت من خلال طروحاتها تأسيس بعض المنظمات الإنسانية المساندة لأبناء الوطن وساهمت في حدود مكاناتها في بعض القضايا. كما أولت الاهتمام الأكبر في جعل المَهاجر مرتبطة بالوطن من خلال موضوعاتها القومية والوطنية.

أما في العراق فقد شهدت هذه الفترة بعض الإصدارات بعد الحرب العالمية الأولى كانت أغلبها، إن لم نقل جميعها من نتاج الكهنة، ومحددة بالمواضيع الدينية فقط . ومنها نذكر مجلة "لسان المشرق" 1946 لكنيسة السريان الارثوذكس في الموصل، و"النجم" للكنيسة الكاثوليكية عام 1950. أما في إيران فقد صدرت في فترة الخمسينات من القرن التاسع عشر العديد من الصحف والمجلات منها "المستقبل الباهر" عام1951 ومجلة "كلكامش" في 2 نيسان عام 1952 والأخيرة تعتبر مطبوعا مميزا في هذا القرن أدارها الأديب نمرود سيمونو ونخبة من الكتاب.

وفي سوريا من الاصدارات المميزة "المجلة البطريركية" عام 1933 و"النشرة السريانية" عام 1944 التي ساهم فيها يوحنان قشيشو.

أما في لبنان فكانت صحيفة "المشرق" عام 1898 واستمرت في الصدور الى سنة 1970، وكان مسؤولها لويس شيخو. وصحيفة "الوطن" عام 1938 وأدارها الكاتب والصحفي المعروف يوسف مالك.

الفترة الثالثة من تاريخ الصحافة السريانية

تبدأ هذه المرحلة في الوطن بعد قرار منح الحقوق الثقافية والتى اسماها نظام البعث "الناطقين باللغة السريانية" في 16 نيسان عام 1972 وعلى إثرها بوشرت النشاطات الثقافية في بغداد والمدن الأخرى، وبعد تأسيس العديد من المؤسسات الثقافية صدر عدد من المجلات تميزت بالموضوعات التي تناولتها والأقلام التى ساهمت فيها ومنها مجلة "قالا سوريايا" عام 1973 لجمعية الثقافة السريانية، ومجلة "بين النهرين" 1973 للكنيسة الكلدانية، ومجلة "المثقف الآثوري" 1974 للنادي الثقافي الآشوري، و"مجلة المجمع السرياني" 1975 للمجمع السرياني.

لكن الفترة التي تلت قرار الحقوق لم تطل كثيرا إذ شهدت بداية الثمانينات محاولة النظام السابق الالتفاف ومحاربة النخب المثقفة لأغلب هذه الإصدارات، وما نجم عن ذلك من هجرة أعداد كبيرة من الأدباء والكتاب إلى خارج الوطن نتيجة الضغوطات المستمرة عليهم.

وعلى إثر هذه الأوضاع السيئة مع الصحافة والأدباء جاءت ولادة صحيفة "بهرا" من جبال كردستان فى 26 حزيران 1982 لتحمل رسالة التحدي للنظام المقبور وتقول كلمتها الحرة وتطالب بالحقوق المشروعة للشعب الكلدوآشوري السرياني، وتواصلت في الصدور السري حتى انتفاضة آذار المباركة 1991.

الفترة الرابعة للصحافة السريانية

بعد انتفاضة آذار

بعد انتفاضة الشعب على النظام السابق في آذار 1991 وتحرير إقليم كردستان العراق كليا من سلطة هذا النظام الدكتاتوري. وبعد تأسيس برنامج جديد من قبل الجبهة الكردستانية لإدارة المنطقة، وبعد إجراء أول انتخاب ديمقراطي لترشيح ممثلي الشعب في البرلمان وسن القوانين الجديدة.. كانت بداية مباركة في مسيرة التغير لجميع القوميات والمكونات المتعايشة في إقليم كردستان .. وفيها استطاع الإعلام بجميع قنواته العمل وبما يخدم مصلحة الجميع.

وفي هذه الفترة باشر الإعلام الكلدوآشوري السرياني نشاطه من خلال الحركة الديمقراطية الآشورية بتأسيس العديد من الإذاعات في أربيل ودهوك ومناطق اخرى لأول مرة في تاريخ شعبنا حيث انطلق صوت الشعب وبحرية للتعبير عن حقوقه والمطالبة بها، وأصبح وسيلة مهمة في نشر الوعي القومي بين الناس وفضح المرحلة السابقة لكل ما حملت من ظلم واضطهاد كبير لعموم أبناء الوطن ومنهم شعبنا الكلدوآشوري السرياني.

كما استطاعت صحيفة "بهرا" بعد مسيرة من صدورها السري أن تصدر من أربيل بشكل علني وباللغات السريانية والعربية وتتواصل مع المرحلة الجديد ومتطلباتها حيث واكبت المرحلة جهود النخب المثقفة في تأسيس العديد من مؤسسات المجتمع المدني ومنها مؤسسات ثقافية مهمة منها المركز الثقافي الآشوري في دهوك 1992 وإصدار أول مجلة باسم "تجم بيث نهرين" والتي لا زالت لليوم مستمرة في صدورها.

وأعقبت المرحلة إصدارات أخرى تخصصيه منها صحيفة للطلبة باسم "ميزلتا"، وأخرى للنساء "نهرينيتا" وهي خاصة باتحاد النساء الآشوري.

كما تأسست العديد من القنوات التلفزيونية المحلية بعد عام1994، حيث جاءت الخطوة الأولى من أربيل، محطة تلفزيون آشور بإشراف مكتب الإعلام المركزي للحركة. وبعد سنة تم إفتتاح قناة تلفزيون آشور في دهوك من قبل الجهة ذاتها. وتواصلت النشاطات الثقافية الإعلامية وتطورت الجهود والمساعي لتقديم أفضل الخدمات في هذا الميدان.

ما تميزت به الصحافة السريانية خلال هذه الفترة

أولت الصحافة اهتماما واسعا بمعاناة شعبنا خلال الفترة الماضية وتعرية نوايا النظام السيئة تجاه حقوقنا المشروعة. وحملت جميع الإصدارات الطابع القومي والوطني واهتمت بالتعايش الأخوي مع جميع المكونات، وساهمت وبفاعلية مع مراحل تطور الإقليم والتحولات التي كان يشهدها، وأحيت المناسبات الخاصة بشعبنا ومنها الدينية والقومية وعكست صورتها المناسبة ضمن المشهد الكردستاني العام للتعريف بها، وساهمت وبشكل فاعل في معالجة الكثير من مخلفات المرحلة السابقة التي بقيت اثارها فى اوساط الشعب الكلدوآشوري السرياني، وانتقدت الأخطاء والمشاكل التي واكبت المرحلة الجديدة بكل جرأة ومسؤولية، واهتمت بالجوانب التراثية والتأريخية الخاصة بشعبنا والوطن عموما، وأولت اهتماما كبيرا باللغة السريانية بعد حرمان طويل منها، وفسحت المجال لجميع الأقلام والأفكار بهدف إغناء التجربة وتطوير مجالات الثقافة.

لقد ساهمت الوسائل الإعلامية في خلق الكثير من الملاكات الإعلامية وأصبحت فيما بعد مدرسة لإعدادهم، وتابعت وباهتمام أخبار شعبنا داخل الوطن في المناطق غير المحررة وتواصلت في تعرية اساليب النظام الدكتاتورية، واستطاعت أن تعكس الأخبار والنشاطات الخاصة بشعبنا في الإقليم والوطن والخارج وبهذا اصبحت وسيلة الإعلام المؤثرة بين الجميع.

لقد ولدت مرحلتنا الجديدة في الإعلام السرياني من رحم المرحلة السابقة بما تحقق خلال تجربة السنوات السابقة في إقليم كردستان العراق في ظل الأجواء الديمقراطية.. من تنظيم وصقل الإمكانيات عبر ممارسة ناجحة أسست الإمكانيات الجيدة لما بعد التغير الذى حصل في بغداد بعد ازاحة النظام في نيسان 2003. حيث القوافل الثقافية والإعلامية وغيرها التي توجهت بعد سقوط النظام الى جميع مناطق تواجد شعبنا الكلدوآشوري السرياني وتأسيس العديد من المؤسسات والمراكز ومحطات الاذاعة والتلفزيون واصدار العشرات من الصحف والمجلات والتي كانت ثمرة موفقة لمسيرة السنوات الماضية من العمل والنجاح، ومن ثم مجيء المجال الفضائي بعد فترة قياسية من بغداد باسم فضائية آشور والذي كان مؤشرا واضحا للتغيرات، وما لحق بعدها من تحولات اخرى حولت الساحة الثقافية والإعلامية من ميدان محدد في ظل الحصار وتبعاته الى آفاق عالمية.. نتأمل منها كل خير وتطور.. ولوطننا الجريح اليوم السلام والاستقرار لمواصلة طريق التقدم الذى حرمنا منه جميعا في السابق.

"جلك".. درة الخابور

بقلم: بدران أمرايا

على ضفاف نهر الخابور ومياهه الرقراقة ومروجه الخضراء المنبسطة الزاهية بألوان الطيف الشمسي، وفي أقصى الشمال الشرقي لقضاء زاخو.. وفي وادي كبير وسحيق تعلوه قمم سلسلتين جبليتين شامختين شموخ عنان السماء، تتوسط واحة مزهرة بالخضار ومملوءة بكل ألوان الحياة ومظللة بغابة من أشجار التوت والبلوط والسنديان والخلاف متخذة شاكلة الانحدار نحو مياه شاطيء الخابور ليتعانقا معا مكونان لوحة تشكيلية بارعة التصميم متقنة في الإخراج الفني لوحة لواحة تستجمع كل عناصر الجمال وتتقوى بمفاتن الطبيعة الخلابة وتستصرخ مدوية بجمالها الأخاذ ومياهها العذبة وصفاء جوها الممتع, فاتنة أبت إلا أن تحفر نفسها وبتفاصيلها الدقيقة في تلافيف ذاكرة زوارها وأبنائها أينما حلو وارتحلوا غنوا بها بملء الحناجر و بأصوات شجية وإيقاع جبلي يهز القامات عنوة ويملأ القلوب طربا وغناءا ويكون مبعثا للسعادة والغبطة الغامرتين.

إنها قرية جلك التاريخية.. ابنة الخابور المدللة وجوهرته المستكينة وقلبه النابض, استمدت اسمها السرياني من مبعث وجودها "خابور" والتي كانت تعانقه على الدوام بكلكها "قاربها" تبخر عبابه ذهابا وإيابا يومذاك، إنها القرية الكلدوآشورية التي تدشن بداية منطقة بروواري بالا التي تمتد حتى الحدود العراقية الإيرانية التركية، إنها مجبولة ومعطرة بعبق التاريخ وموغلة في قدمه حتى الثمالة مستمدة أصالتها من العصور الآشورية درة العصر النهريني بما تضمه من قلاع وحصون ومناطق أثرية كانت مطلة على مياه خابور والتي خانها هذا النهر وجرفها بسيوله الربيعية الهائجة والمائجة.

أهالي هذه القرية ينحدرون من قرية كيرامن الواقعة الآن ضمن الحدود التركية بمنطقة وادي تياري، اعتمد أهالي القرية في معيشتهم بالدرجة الأولى على الـ "كوبا"، أي جوب معمل للحياكة اليدوية الذاتية للقماش تمهيدا لخياطته وجعله الملابس الكلدوآشورية الفلكلورية "الشل والشابك" أو ملابس "الخومالة" الجميلة التي ترتدى ولحد الآن في المناسبات المفرحة، وهذه المهنة الخاصة حرفة وراثية اكتسبت مع حليب الأم لهؤلاء الناس، حيث أن لكل أسرة معملا خاصا بها في البيت تعمل متى ما شاء وتستريح كذلك، فضلا عن أنها مهنة تضامنية يتضامن الكل في ظلها ذكورا أم إناثا خلال أدائها، وتمر بمراحل إلى أن توشك على نهايتها. إلى جانب ممارسة حياة القرية بجوانبها الكثيرة والشائكة كالزراعة وأهم وارداتها "التفاح البرواري المشهور، الرز، الرمان، الخوخ، المشمش"، وتربية الحيوانات من المواشي والأبقار والدواجن، بالإضافة إلى ما يدره نهر الخابور من ثروة سمكية حيث اعتاد أهالي القرية منذ القدم على بناء ما يسمى ببناء "السلتا" وهو حوض لصد الأسماك في فصل الشتاء، حيث يتكاتف أهل القرية كوحدة متماسكة ببناء ذلك الجدار المائي لصد طريق الأسماك واصطيادها وهي في طريقها انحدارا نحو الجنوب مع التيار المائي، ويتقاسمون ما يصيدونه بالتساوي وفي أجواء يحسدون عليها من السعادة وخاصة أثناء الليل وهم يحومون كدائرة حول شعلة النار ورائحة السمك المشوي تتطاير في الآفاق وهم يتبادلون أطراف الكلام والمزاح إلى أن يطبق النوم على أجفانهم فيغورون في تشعباته وأحلامه الوردية.

للقرية كنيسة باسم شفيعهم مار موشي والتي كانت قائمة على جبل شامخ عرف باسمه وفي لحف الجبل هناك كهوف عديدة منقورة باليد وكان الرهبان يتخذونها مسكنا للتزهد والاعتكاف إلى جانب أن لشفيع القرية ذكرى أو "شيرا" يصادف الأحد الجديد بعد عيد القيامة من كل عام، وتعد هذه المناسبة عزيزة على قلوب أهالي القرية تجعلهم يتقاطرون من كل صوب وحدب للتشفع بين يدي مار موشي ولتقديم نذورهم على أرواح موتاهم، فضلا عن أنها محطة مهمة للقاء والتعارف بين أبناء القرية ولزيارة مدافن موتاهم للصلاة والترحم على أرواحهم، والكنيسة المذكورة فجرت عام 1977 عند ترحيل القرية أسوة بالقرى الأخرى ضمن ما سمي بعملية "إخلاء الشريط الحدودي" 1976-1977.

احتضنت القرية ولادة شخصيات اجتماعية فذة سجلت حضورها اللافت في الصفحات القومية والدينية والاجتماعية، بحيث قدمت بلا بخل كل ما جادت به أناملها وفكرها رافدة مسيرة الشعب الكلدوآشوري بمواطن الرفعة والتقدم، وظلت ينبوعا متدفقا بالعطاء إلى آخر لفظة من أنفاسها، ومن بين من قدمتهم "القس الأقدم عوديشو موشي، يوخنا أوراها، القس أوراها يوخنا، القس الشهيد شمعون شليمون زيا الذي أعدم عام 1988 بكركوك، الشماس موشي يوحنا، الشماس باكوس صومو، وشقيقه الشماس توما صومو، المختار الشهيد هرمز شاماثا، المرحوم يلدا خائي، المرحوم يوخنا يوسف الذي أراد الشهيد مار بنيامين شمعون أن يرافقه إلى ديوان سمكو الشكاك، القس توما أوراهم يوخنا الذي يخدم الآن ببغداد، القس كيوركيس خمو الذي يمتاز بذاكرته الحادة في توثيق الأحداث وهو الآن يخدم كنيسة الرب بدهوك، إلى جانب القس شمعون موشيل شمون خادم الكنيسة في بيرسفي".. وغيرهم الكثيرون. وكانت هذه القرية خرابا وأنقاضا منذ 1977 وحتى بداية عام 1991 بعد الانتفاضة، حيث هب أهالي القرية هبة رجل واحد لإعمار موطن آبائهم وأجدادهم لينفخوا في أطلالها المغبرة نسمة الحياة وبدعم من المنظمات والمؤسسات الخيرية القومية والدولية والحكومية.

وفي شهر تموز من كل عام يكون للقرية بشاطئها الخابوري المنعش موقف مشهود وماثل للعيان وهو يوم نوسرديل "عيد الرشاش" حيث تكون محطة لتقاطر الناس من كل الاتجاهات والألوان للاصطياف على ضفاف مياه الخابور وقضاء يوم حافل بالنشاط والسعادة، يوم يسجل بوضوح في مفردات الذاكرة الشخصية لكل من حظي بالحضور وتشمّس هناك بين أمواج الخابور المتسارعة نحو دجلة الخير.

ويجدر بالإشارة أن معظم أهالي القرية ذكورا وإناثا مثل صغار البط عوامين يراهنون الأسماك في السباحة بشاطئهم الخابوري وينسبون أنفسهم كأولاد له منذ الأزل.

مدينة سريانية منسية عاقولا Aqula

فؤاد يوسف قزنجي

يعود تأسيس بلدة عاقولا او عاقولاء او عاقولة الى القرن الثالث الميلادي، وكانت تقع شمال مدينة الحيرة ببضعة كيلومترات، وقد بنيت على انقاض مدينة فرثية قديمة بناها الملك اولكاش الاول "51 –78م" لكن يشير بعض الاثاريين ان المدينة الفرثية كانت قد بنيت على انقاض قرية رافدينية غير معروفة بعد، اذ لاتزال التنقيبات الاثرية في تلك المنطقة "الكوفة" لم تشمل الطبقات الوسطى.

جاء في كتاب ماضي النجف وحاضرها للشيخ جعفر آل محبوبة، ان الكوفة كان يقال لها عاقولة او عاقولاء. وذكر التاريخ السعردي لمؤلف سرياني مجهول ان الكوفة كانت تسمى "عاقول" قبل بنائها. ومن معاني عاقول بالسريانية فتلة او عوجة. وفي كتاب تقويم الكنيسة النسطورية الذي نشره بطرس عزيز، ان الكوفة كان يقال لها كوبا. وفي دليل الراغبين ان كوبا بمعنى عاقول وهو نبت ترعاه الابل. وكان من الناس من يقول لهذا الموضوع عاقولا. ومنهم من يقول كوبا وبين "كوبا دكملا" بالسريانية وبين عاقول بمعنى النبات، تشابه في الاصول، فأن صح ذلك فان هذا الموضع الذي يطلق عليه تارة كوبا وتارة اخرى عاقولا. قد يكون رجال الفتح الاسلامي قد سمعوا هذه اللفظة فأطلقوا على البلدة التي انشؤوها "كوفة". وهذا ليس ببعيد لتضارب الاراء في اشتقاق كلمة كوفة من اصلها العربي وفي سبب تسميتها."1"

واورد ياقوت الحموي في معجمه متأثراً بالسريانية: "ان الكوفان الدُغل من القصب والخشب" مما يدل على ان ارض عاقولا وكوفا ارض واحدة. وقد وردت عاقولا في احدى الادبيات في شعر حاجب بن ذبيان المازني وهو يخاطب مسلمة بن عبد الملك، قائلاً: "2"

أمسلمُ إنّا قد نصحنا فهل لنا
بذاكم على اعدائكم عندكم فضلُ
حقنتم دماء الصلبتين عليكم
وجرَّ على فرسان شيعتك القتل
وفاتهم العريان فساق قومه
فيا عجبا اين البراءة والعدل
اقام بعاقولاء منّا فوارس
كرام اذا عدَّ الفوارس والرجل

ضمت عاقولاء جماعات متفرقة من المسيحيين لعلهم من بقايا سكنة مدينة بابل من الكلديين. كما تمثل موضعاً كان يرتاده ابناء القبائل العربية المسيحية في القرون الميلادية الاولى. اشار اليها البطريرك مار دنخا الاول مفريان تكريت في سيرة مار ماروثا التي كتبها في بداية القرن السابع الميلادي. كان اهل عاقولاء قد عملوا بضاعة النسيج اضافة الى امتهانهم التجارة وقوافل النقل شفاثة عبر الصحراء الى مملكة حطرا "الحضر". وكانوا عنصراً فاعلاً في تسيير التجارة وتبادل البضائع في العراق فكانوا ينقلون البضائع الى مملكة الحيرة التي كان يمتد نفوذها الى جنوب العراق والجزيرة العربية والخليج. ونشأت في القرن السادس مدرسة في عاقولا تتناول اللاهوت واللغة السريانية، مما يدل على ان اهلها بدأوا يتعاملون باللغة السريانية التي شاعت في العراق وسوريا بين المسيحيين الذين كانوا غالبية سكانها. فصارت هذه المدرسة تنقل العلوم والثقافة الفارسية اليونانية الى اللسان السرياني، لان الفرس كانوا قد سيطروا على العراق، وكانت لغة الدبلوماسية، اللغة الارامية وهي قريبة من السريانية. وكانت كنيسة عاقولا ملحقة بكرسي الحيرة، واسقف الحيرة وعاقولا يتبعان كرسي ساليق –طيسفون.

ويقدم لنا احد المؤرخين مشهداً يصوّر عادة العاقوليين في توديع موتاهم، فكانوا يشيعونهم وهم في طريقهم الى المقبرة او الكنيسة التي سيدفنون بجوارها حيث يسير اشراف القوم في المقدمة وهم يتلون ايات من الانجيل المقدس، وكانت مقبرة النصارى قد اشتهرت فيما بعد في الكوفة بأسم "تاووس الكوفة". ضمت عاقولا اكثر من عشرة اديرة نسبت الى الحيرة او ظاهر الحيرة، وكان الناس يقصدون هذه الاديرة ايام الاعياد فتكون موضع تجمع واحتفالات وزيارة اضرحة الموتى المدفونين في هذه الاديرة. وكانت لبعض الاديرة دور صحي، اذ اشتهرت بالرهبان الذين كانوا يتقنون مهنة الطب او الصيدلة جراء اطلاعهم على الطب اليوناني الذي كانوا يلجأون اليه ايام اضطهاد ملوك الحيرة من الوثنيين للمسيحية."3"

واشهر الاديرة في عاقولاء "دير زرارة" الذي كان محط شعراء البلدة والموقع نسبة الى زرارة بن يزيد من بني البكاء. وكانت زرارة قرية فيها بساتين بين عاقولاء والحيرة من بين سكانها عدد من اليهود الذي اشتهر من بينهم "بطروني اليهودي" الذي عرف بعلمه بالفلك والتنبؤ وكذلك عرف بالسحر. واصبح بعد ذلك اهالي المدينة من المسيحيين تابعين الى جاثليق تكريت في رئاستهم الدينية مع سنجار. وبعد الفتح الاسلامي للعراق، بنيت بجوار عاقولا بلدة لجيش المسلمين على شكل دائرة وسميت بالكوفة اما لاستدارتها وقيل لاجتماع الناس فيها. وقد بنيت الكوفة في ايام الخليفة عمر بن الخطاب عام "18ه" وطغى اسم الكوفة على اسم بلدة عاقولا تدريجياً اذ اختلطت مبانيها معا وظن كثير من المؤرخين ان بقايا الاديرة والكنائس في جوانب الكوفة ماهي الا اثار لابنية كانت مع الكوفة. وكان اسقف الكوفة المدعو "جرجيس" يصلي في المسيحيين الذين كانوا من قبائل طي وعقيل وغيرهم. وعرف هذا القسيس ايضا بأسقف العرب ثم دعي بأسقف عرب الجزيرة. وكان متضلعاً في الفلسفة ووضع شروطا لبعض الاسفار المقدسة واسرار الكنيسة ونظم القصائد الدينية. وترجم كتاب "الاورغانون" لارسطو من اليونانية الى السريانية، لان العربية لم تكن سائدة بعد. وقد بنى اول والي للكوفة وهو خالد بن عبد الله القسري، كنيسة للمسيحيين قرب جامع المدينة، سميت بكنيسة خالد او كنيسة ام خالد. وهو اول شخصية اسلامية يبني بيعة للنصارى في تاريخ الاسلام، ولعل ذلك مرده الى ان امه كانت مسيحية.

ومما رفع اهمية عاقولا وصنوتها الكوفة، ان الخليفة عمر بن الخطاب امر باخراج المسيحيين من مدينة نجران اليمنية فغادر معظمهم الى جهة الكوفة وقرب الكوفة اقاموا لهم قرية سميت بـ "تجرانة" او "النجرانية".

تأثر اهل الكوفة بحياة الرهبان في عاقولا والحيرة المتجاورتين فأمست الكوفة من مراكز الزهد والتصوف في الاسلام، او الانخرط في حياة فردية تأملية تشيع فيها احاديث عن حب الله والتفكير في ذاته المقدسة، حتى ان بعض الزهاد الكوفيين ليسوا المنسوجات الصوفية الخشنة المشابهة لمنسوج الرهبان. وذكر الباحث شكري فيصل ان التاريخ يخبرنا بان مدارس النجف ورثت المدارس المسيحية السريانية لغة وفكرا والتي كانت في عاقولا والحيرة، ولما اندرست عاقولا صارت الحيرة واجهة للثقافة وانتقل ما فيها الى الكوفة ثم الى النجف."4"

المصادر

"1" سركيس، يعقوب. مباحث عراقية. بغداد: شركة التجارة، 1955 القسم الثاني "ص 325"
"2" الحموي، شهاب الدين. معجم البلدان. بيرو: دار احياء التراث العربي، د.ت. "المجلد/ ص287".
"3" الطريحي، محمد سعيد. الديارات والامكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها. بيروت: مكتبة المتنبي، 1981 "ص240".
"4" شكري، فيصل. المحتمعات الاسلامية. الموصل: "ص25".